ديوان الفارس الشاعر العباس بن مِرْداس

ـ رضي اللَّه عنه ـ

اعتنى به

الشيخ محمد علي قطب

بسم الله الرحمن الرحيم

قال في (الإعلام) [ج: ٤] [ص: ٣٩]:

[العَباسُ بن مِرْداس بن أبي عامرٍ السُّلميّ، من «مُضَر»، أبو الهَيْثَم[١]، شاعر فارس، من سادات قَوْمِهِ، أُمُّهُ «الخنساء»[٢] الشاعِرَة، أدْرك الجاهليَّة والإسلام، وأسْلَمَ قُبَيْل فَتْح «مكة»، وكان من المؤلّفَةِ قُلُوبهم.

ويُدْعى: فارس العُبَيْد ـ بالتَّصغير ـ، وهو فَرَسُهُ؛ وكان بَدَويّاً قُحّاً، لم يَسكُن «مكة» ولا «المدينة»، وإذا حَضَر الغَزْوَ مع النبي ﷺ، لم يلْبث بعده أن يَعُودَ إلى منازل قَوْمه.

وكان ينزل في بادية «البصْرة»، وبَيْتُهُ في عقيقها [وفي معجم البلدان: عقيق البصرة: وادٍ مما يلي «سَقْوان»]، ويُكْثر من زيارة «البصرة».

---

(١) الهَيْثَم: فَرْخ العُقاب.

(٢) في هذا القول ضَعْف.

وقيل: قَدِم «دِمَشْق» وابْتنى بها داراً، وكان مِمَّنْ ذَمَّ الخمرَ وحرَّمها في الجاهليَّة، ومات في خلافة «عمر»[(١)]. [نحو سنة ١٨هـ].

إسلامُهُ:

أسلم «عَباسُ بن مرداسٍ» قُبَيْل فَتح «مكة» بقليل.

ولقد جاء بِـ«بني سُلَيْم» لينضَمَّ إلى رسول اللَّه ﷺ؛ وكانوا سبعمائةٍ، في قَوْلٍ، وألْفاً في قَوْلٍ آخر؛ واستشهدوا لذلك بما أنشَده «العباس»؛ إذ قال:

مِنّا بـ«مكة» يَوْم فَتْح «محمد»
أَلْفٌ تسيل به البطاحُ مسوَّم
نصروا الرسول وشاهدوا آياته
وشعارهم يوم اللقاء مقدّمُ
في مَنْزِلٍ ثبتَتْ به أقدامُهُم
ضنْكٍ كان الهام فيه الحَنْتَمُ[(٢)]

---

(١) شرح شواهد المغني، وتهذيب التهذيب، والإصابة، وابن سعد، وسمط اللآلئ، وخزانة الأدب، وتهذيب ابن عساكر، والمرزباني، وحسْن الصحابة، والشعر والشعراء، والعيْني، والروض الأنف، والمحبّر، ورغبة الآمل، والتبريزي.

(٢) الحنتَم: الجرّة الخضراء.

جَـرَت سـنـابِـكُـهـا بـنـجْـدٍ قـبـلـهـا
حتى استقام لها الحجازُ الأَدْهم[١]
الـلّـهُ مـكّـنَـهُ لـه وأَذلّـه
حـكـم الـسـيـوف لـنـا وجـدّ مـزْحـمُ
عُـودُ الـريـاسـة شـامـخٌ عـرنـيـنُـهُ[٢]
مـتـطـلِّـع ثُـغَـرَ الـمـكـارم خَـضْـرم

سَبَبُ إسلامِه:

ذكر «ابن هشام» في السِّيرة، في سبب إسلامِه قال: إن أباهُ كان يَعْبُدُ صنماً من حجارة يُقال له «ضمار»، فلما حضرتْهُ الوفاة أوصاهُ به، فبينما هو يَوْماً يخدمه سَمِعَ صَوْتاً من جَوْفِهِ وهو يقول:

قُـلْ لـلـقـبـائـل مـن «سُـلَـيْـم» كـلـهـا
أوْدى «ضمار» وعاش أَهْلُ المسجد[٣]
إن الـذي ورِث الـنـبُـوَّةَ والـهُـدى
بعد «ابن مَريمَ» من «قُرَيش» مُهْتدي

(١) الأَدْهم: الأسود.
(٢) عرنينه: أنْفه كلّه.
(٣) أهل المسجد: أهل بيْت اللّه الحرام بـ«مكة».

أَوْدى «ضمار» وكان يُعْبَدُ مَدَّةً
قبْل الكتاب إلى النبيِّ «محمد»

فحَرق «عباس» ـ ضماراً ـ ثم لحق برسول اللّه ﷺ، فأسْلَمَ[1].

انضمامهُ إلى الجيْش الإسلامي تحت راية رسول اللّه ﷺ بعد فَتْح «مكة» إلى غزوةِ «حُنَين»؛ وكان من أبطالها وفُرسانها؛

وَأَنشَدَ يومئذٍ فقال:

أَبْلِغْ «هوازن» أعلاها وأسفلها
مِنّي رسالة نُصْحٍ فيه تِبيان
إني أَظُنُّ رسول اللّه صباحكم
جيْشاً له في فضاء الأرض أركانُ
فيهم «سُليْم» أخوكم غير تاركِكم
والمسلمون عبادُ اللّه غسَّان
وفي عضادتِهِ[2] اليُمْنى «بنو أَسَدٍ»
والأجْربان «بنو عبس» و«ذبيان»

(١) أوْرَد ذلك: «ابن كثير» ـ في البداية والنهاية.. في باب «هواتف الجان».

(٢) عضادتِهِ: العضادة: الناصر والمعين..

تكاد ترجف منه الأرض رهْبته
وفي مقدّمِهِ «أوْس» و«عُثمان»[١]

كانت رايةُ الأحلاف: «هوازن» و«ثقيفٍ» مع «قارب بن الأسود»، فلما انهزم الناس، أسند رايته إلى شجرة، وهرب هو وبنو عمّه وقومه، فلم يُقْتَل من الأحلاف غير رجليْن، ورجل من «بني نميرة» يقال له «وهْب»، ورجل من «بني كُفَّة» يقال له: «الجلَّاح»؛ فقال رسول اللَّه ﷺ حين بلغه قَتْل «الجلَّاح»: «**قُتل اليوم سيِّد شباب «ثقيف» إلَّا ما كان من «ابن هُنَيْدة»**»[٢].

قال «ابن إسحاق»، فأنشد «العباس بن مِرْداس»:

ألا مَنْ مُبَلغ غيلان عني
وسَوْف إخال يأتيه الخبير
و«عروة» إنما أهدى جواباً
وقَوْلاً غير قولكما يسير
بأَنّ «محمداً» عَبْدٌ رسولٌ
لِرَبٍّ لا يضِلُّ ولا يجُورُ

(١) «أوْس» و«عثمان»، قال «ابن إسحاق»: هما قبيلا «مُزَيْنة».
(٢) يعني: «الحارث بن أُوَيْس».

وجَدْناهُ نبيًّا مِثَل «موسى»
فكل فتًى يخايرُهُ مخيرُ
وبئس الأمرُ أَمْرُ بني قسيٍّ
بوَجٍّ[١] إذا تقسَّمت الأمور
أضاعوا أمرهم ولكل قوْمٍ
أميرٌ والدوائر قد تَدُورُ
فَجِئْنا أُسْد غاباتٍ إليهم
جُنودُ اللَّه ضاحيةٌ تسير
يَؤُمُّ الجَمْعَ جَمْع «بني قسيٍّ»
على حَنَقٍ نكادُ لَه نطيرُ
وأُقْسم لوْ همُو مكثوا لسِرْنا
إليهم بالجنود ولم يَغوروا
فكُنَّا أُسّد ليَّة[٢] ثمَّ حتّى
أَبحناها وأسلمت النُّصُورُ
ويَوْمٍ كان قبْل لدى حُنَيْنٍ
فأقْلَعَ والدماء به تمورُ

(١) وَجّ: اسم وادٍ بالطائف قبْل حُنَيْن.
(٢) ليّة: موضع قريب من الطائف، والنُصُور: من هوازن، وهم رهط مالك ابن عوْف النّصْريّ.

مـــن الأيـــام لـــم تـــســـمـــع كَـــيَـــوْمٍ
ولـــم يَـــسْـــمـــع بِـــهِ قـــوْمٌ ذُكُـــورُ
قـتَـلـنـا فـي الـغـبـار «بـنـي حُـطَـيْـطٍ»
عـــلـــى رايـــاتـــهـــا والـــخـــيْـــل زُورُ
ولـــم يَـــكُ ذو الـــخِـــمـــار رئـيـس قـوْم
لـــهـــم عَـــقْـــل يـــعـــاقِـــبُ أو نـــكـــيـــر
أقـام بـهـم عـلـى سُـنَـنِ الـمـنـايـا
وقـد بـانـت لِـمُـبْـصِـرهـا الأُمُـورُ
فـأفْـلَـتَ مَـنْ نَـجَـا مـنـهـم حـريـضـاً[1]
وقُـتِّـل مـنـهـم بَـشَـرٌ كـثـيـر
ولا يُـغـنـي الأمـور أخـو الـتّـوانـي
ولا الـغـلـفُ الـصُّـرِّيـرَةُ الـحـصـورُ[2]
أحـــانـــهـــم وحـــانَ ومـــلَّـــكـــوهُ
أمـــورهـــم وأَفْـــلَـــتَـــتِ الـــصُّـــقُـــورُ
«بَـنُـو عَـوْفٍ» تـمـيـحُ بـهـم جـيـادٌ
أهـيـن لـهـا الـفـصـافـص والـشّـعـيـر

(١) ويُقال: الجريض ـ بالجيم، وهو: المختنِق بريقِهِ.
(٢) الـصُّـرِّيـرَةُ: تـصـغـيـر الـصـرورة، وهـو الـذي لا يـأتـي الـنـسـاء. [الحصور].

فـلَـوْلا «قـارب» وبـنـو أبـيـه
تَـقَـسَّـمـت الـمـزارعُ والـقُـصُـورُ
ولـكـنّ الـريـاسـة عَـمَّـمـوهـا
عـلـى يُـمـن أشـار بـه الـمـشـيـرُ
أطـاعـوا «قـاربـاً» ولـهـم جـدودٌ
وأحـلامٌ إلـى عِـزٍّ تـصـيـرُ
فـإن يـهـدوا إلـى الإسـلام يـلْـفُـوا
أنـوف الـنـاس مـا سَـمَـر الـسـمـيـرُ
فـإن لـم يُـسْـلِـمُـوا فَـهُـمُـو أذانٌ
بـحَـرْب الـلَّـه لـيـس لـهـم نَـصـيـرُ
كـمـا حـكـتْ «بـنـي سـعْـد» و«حَـرْبٍ»
بِـرَهْـط «بـنـي غـزيَّـة» عَـنْـقَـفـيـر
كـأَنَّ «بـنـي مـعـاويـة بـن بـكـر»
إلـى الإسـلام طـائـفـةٌ تَـخُـورُ
فـقُـلْـنـا: أسْـلِـمُـوا إنـا أخـوكـم
وقـد بَـرَأَتْ مـن الإِحَـنِ الـصُّـدورُ
كـأَنَّ الـقـوْم إذ جـاؤوا إلـيْـنـا
مـن الـبـغْـضـاءِ بـعـد الـسِّـلْـم عُـورُ

ما قَالَهُ «العباس» أيضاً في يَوْم «جَمْع» . . . يَوْم «حُنَيْن» . . . يَوْم «هوازن» و«ثقيف» :

فإني والسَّوابح[١] يَوْم جَمْعٍ
وما يتلو الرسُولُ من الكتاب
لقد أحبَبْتُ ما لَقِيَتْ «ثقيف»
بجنْب الشِّعْبِ أَمْسِ من العذاب
هُمُ رأس العدوِّ من أَهْل نَجْدٍ
فَقَتْلُهُم أَلَذُّ من الشراب
هزمنا الجمْع جَمْعَ «بني قسيٍّ»
وحلَّت برْكها ببني رئاب
وَصِرْماً من هلالٍ غادرتْهم
بأوْطاس[٢] تعفّر بالتُّراب
ولوْ لاقَيْن جَمْع «بني كلاب»
لقام نساؤهم والنّقْعُ كابي
ركضْنا الخيْل فيهم بَيْن بَسٍّ
إلى الأَوْرال تَنْحطُ بِالنّهابِ[٣]

(١) السَّوابح : الخيْل .
(٢) أوْطاس : اسم مكانٍ عند وادي «حُنَيْن» .
(٣) بَس : موضع في أرض بني جُشم . والأوْرال : أَجْبُلٌ ثلاثة سود .

بـذي لَـجَـبٍ رسـول الـلّـه فـيـهـم
كـتـيـبَـتُـهُ تـعَـرَّض لِـلـضِّـرابِ

ويـخـاطـب «الـعـبَّـاس بـن مِـرْداس» ـ رضـي الـلّـه عـنـه ـ رسول اللّٰه ﷺ، فقال:

يـا خـاتـم الـنُّـبَّـاء[1] إنَّـك مـرسَـلٌ
بـالـحـقِّ كُـلُّ هـدى الـسـبـيـل هَـداكـا
إن الإلٰـه بـنـى عـلـيـك مـحـبَّـةً
فـي خـلْـقِـهِ ومـحـمَّـداً سـمَّـاكـا
ثُـمَّ الـذيـن وفـوا بـمـا عـاهَـدْتـهـم
جُـنْـدٌ بعثْتَ عـلـيـهـم «الـضَّـحَّـاكـا»[2]
رجُـلاً بـه ذَرَبُ[3] الـسِّـلاح كـأنَّـه
لـمَّـا تَـكـنّـفـهُ الـعـدوُّ يـراكـا
يَـغْـشـى ذوي الـنـسـب الـقـريـب وإنـمـا
يَـبْـغـي رضـى الـرحـمٰـن ثـم رضـاكـا
أُنْـبـئـك أنـي قـد رأيْـتُ مـكـرَّهُ
تـحْـت الـعـجـاجـةِ يَـدْمَـعُ الإشـراكـا

(١) النُّبَّاء: الأَنْبياء.
(٢) الضَّحَّاك: قائد بني سُليم.
(٣) ذَرَب السّلاح: حِدَّتُهُ ومضاؤه.

طـوْراً يُـعـانـق[١] بـالـيـديْـن وتـارةً
يَـفْـري الـجـمـاجـم صـارمـاً فَـتَّـاكـا
يَـغْـشـى بـه هـام الـكُـمـاةِ ولَـوْ تـرى
مـنـه الـذي عـايَـنْـتَ كـان شـفـاكـا
وَبـنُـو سُـلَـيْـم يـقـذفـون أمـامَـهُ
ضَـرْبـاً وطـعْـنـاً فـي الـعـدُوِّ دراكـا
يَـمْـشُـون تـحـت لـوائِـهِ وكـأنـهـم
أُسْـدُ الـعـريـن أرَدْنَ ثَـمَّ عِـراكـا
مـا يـرتَـجُـون مـن الـقـريـب قـرابـةً
إلا لـطـاعـةِ رَبِّـهـم وهـواكـا
هـذي مـشـاهِـدُنـا الـتـي كـانـت لـنـا
مـعـروفـة وولـيّـنـا مـوْلاكـا

وهُوَ هنا يَمْتَدِحُ رسُول اللّه ﷺ . . .
وَيَمْتدِح شجاعة قوْمِهِ وقِتَالهم .
وأَنَّـهـم صـادِقُـون فـي إسـلامـهـم وإيـمـانِـهـم ؛ غـايـتـهـم الله ورسوله .

(١) يعانق باليدين : يُقاتل بهما .

وأصدَق ما قال في ذلك:

[يغشى ذوي النسب القريب وإنما
يبْغي رضى الرَّحمٰن ثم رضاكا]

وزيرُ النبيِّ ﷺ؛ كذا يصف نَفْسَهُ، ويتحدَّث عن يَوْم «حُنَيْن» وهُو من أهم مشاهِدِه وقومه في ساحات الوغى؛ فيقول:

عفا «مَجْدَلٌ» من أَهْلِهِ و«متالع»
«فَمُطلا أَربك»[١] قد خلا فالمصانِعُ
ديارٌ لنا يا جَمْل إذْ جُلُّ عيْشِنا
رخيٌّ وصرف الدَّهْرِ للحيِّ جامع
حُبَيِّبةٌ أَلْوت بها[٢] غُربَةُ النوى
لبيْنٍ فهل ماضٍ من العَيش راجِع
فإن تبتغي الكُفَّار غير ملومةٍ
فإني **وزيرٌ** للنبيِّ وتابِعُ
دعانا إليه خيْر وَفْد علمتهم
«خُزَيْمَة» و«المُرّار» مِنهم و«واسع»[٣]

---

(١) مجدل ومتالع وأريك: أسماء مواضع كانت لِقومِهِ.
(٢) ألْوت بها: أبْعَدتْها الغُربَةُ.
(٣) «خزيمة» و«المرّار» و«واسع» ـ الجماعَةُ التي وافت «سُلَيْمَاً» ودعَتْها إلى =

فَجِئْنا بأَلْفٍ من «سُلَيْم» عليهم
لبوسٌ لهم من نَسْج «داود»[١] رائع
نبايعُهُ بالأخشبيْن[٢] وإنما
يَدُ اللَّه[٣] بَيْن الأخشبين نبايِعُ
فَجِئْنا مع المهْدي مكَّة عُنوةً
بأسيافنا والنَّقْع[٤] كابٍ وساطع
علانيةً والخيْل يغشى متونها
حميمٌ وآنٌ من دم الجوْفِ ناقِعُ[٥]
ويوم «حُنَيْن»[٦] حين سارت «هوازن»
إليْنا وضاقَتْ بالنُّفُوسِ الأَضالِعُ

= الانضمام للجيْش الذي قَصَدَ فَتْح مكة بقيادة رسول اللَّه ﷺ، وقد وصفهم «عباس» بأنَّهم: خَيْر وفدٍ.

(١) نَسْجُ داود: الدُّروع التي عَلّم اللَّه تعالى «داود» ـ عليه السلام ـ صناعتها ﴿**وعَلَّمْناهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِنْ بَأْسِكُمْ**﴾ [الأنبياء: ٨٠].

(٢) الأخشبيْن: الجبليْن.

(٣) يد اللَّه: كناية عن قوله تعالى: ﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون اللَّه يدُ اللَّه فوق أيديهم**﴾ [الفتح: ١٠].

(٤) النَّقْع: الغبار.

(٥) كَأَنّ العرق المتصبِّب من الخيْل لسخونتِه ولونه، كأنه الدَّم يتفجَّر من جوفها.

(٦) يوم «حُنَيْن»: كان أَعْظم الأَيَّام بالنِّسبةِ إلى المسلمين، فَقَدْ كانت الهزيمة =

صَبَرْنا مع «الضَّحَّاك»[١] لا يَسْتفزنا
قراعُ الأعادي منهم والوقائع
أمام رسول اللَّه يخفق فوقنا
لواءٌ كخذْروف السحابةِ لامعُ
عَشِيَّة «ضحّاك بْنُ سُفْيان» مُقتصٍ[٢]
بسيْف رسولِ اللَّه والموْتُ كانِعُ[٣]
نَذُود أخانا عن أخينا ولو ترى[٤]
نصَالاً[٥] لكُنَّا الأَقْربين نتابع

= في أَوَّله، بقوله تعالى: ﴿**ويوم حُنَيْن إذ أعجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُم فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكم الأَرْضُ بما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُدبِرين * ثُم أنزل اللَّه سَكِينَتَهُ على رسُولِهِ وعلى المُؤْمِنين وأَنزَلَ جُنُوداً لم تَرَوْها وعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وذَلِكَ جَزَاءُ الكَافِرِين**﴾ [التوبة: ٢٥ ـ ٢٦].

ثم ثبّت اللَّه تعالى رسوله والمؤمنين...، وكان «العبَّاس» أحد الذين شاهدوا وعاينوا وقاتَلُوا ودافعُوا.. والذين ثبتُوا...!، وها هو يَصفُ هول ذلك اليوم بقوله: [وضاقَتْ بالنفوس الأضالِعُ].

(١) «الضّحَّاك بن سُفْيان: ـ قائد «سُلَيْم» يومئذٍ.

(٢) مُقْتَصٍ: ضارب.

(٣) كانع: قريب.

(٤) نذود أخانا عن أخينا: يريد أنه من «سُلَيْم»، «وَسُليْم» من «قَيْس»، كما أن «هوازن» «من قَيْس» أيضاً.

(٥) نصالاً: جائلين، من: الصّوْلة.

ولكن دين اللَّه . . . دين «محمد»
رضينا به فيه الهُدى والشرائع
أقام[١] به بَعْد الضلالة أَمْرنا
وليس لأَمْر حَمَّهُ اللَّه دافِع

وقال «عباسٌ» أيْضاً:

تقطَّعَ باقي وَصْل «أُمِّ مؤمِّلِ»
بعاقبةٍ واستبْدلَتْ نِيَّةٌ خُلْفا[٢]
وقد حَلَفَتْ باللَّه لا تقطع القُوى
فما صَدَقَتْ فيه ولا بَرَّتِ الحَلْفا
خفافية بَطْن العقيق مصيفُها
وتحْتل في الدارين وَجرة فالعَرْفا[٣]
فإن تَتْبع الكفَّار «أم مؤمِّل»
فقد زوَّرت قلبي على نأيها شَغْفا
وسوف ينبئُها الخبير بأنَّنا
أبيْنا ولم نطلب سوى ربّنا حِلْفا

(١) أقام به: قوَّم ما اعْوَجّ من ضلالتنا وجاهليتنا.
(٢) النِيَّة: ما ينْويه الإنسان من وجْهٍ ويقصدُهُ ـ قال «السُّهيْلي»: النيَّة من النَّوى: أي البُعْد. ولعلَّ الشاعر قَصَد بـ«أُمِّ مؤمِّل» إناثَ بني «سُلَيْم».
(٣) «الخفافية» و«العقيق» و«وجرة» و«العرف»: أسماء: أماكن ومواضِعَ . . . ، تقيم ببعضها صيْفاً، وتشتو في بَعضها.

وَإِنا مع الهادي النبيِّ «محمد»
وَفَيْنا ولم يَسْتَوْفها مَعْشر أَلْفا[١]
بِفِتْيان صِدْقٍ من «سُلَيْم» «أعزّةٍ»
أطاعوا فما يَعْصُونَ من أَمْرِهِ حَرْفا
خِفافٌ وذكوانٌ وعَوْف[٢] تخالُهم
مصاعب زافَتْ[٣] في مراصِدِها غُضْفا[٤]
بنا عَزّ دين اللَّه غير تَنَحّلٍ
وزِدْنا على الحيِّ مَعَهُ ضِعْفا
بـ«مكَّة» إذ جِئْنا كأنَّ لواءنا
عُقابٌ أرادت بعد تحليقها خَطْفا
على شَخْصِ الأبصار تَحْسَبُ بَيْنها
إذا هي جاعَتْ في مراودها عَزْفا[٥]

---

(١) المعشر الأَلَف: القرشيُّون الذين لم يَفُوا ولم يُؤْمنوا ولم يُتابعُوا...!

(٢) «خفاف» و«ذكوان» و«عوف»: بُطونٌ من «سُلَيْم».

(٣) زافت: نشرت أجنحتها، كأنها الطيور الأبابيل.

(٤) غُضْفا: شديدة الظُّلْمةِ.

(٥) المراود: جَمْع مِرْوَد، وهو: الوتد.
قال «السُهيْلي»: يجوز أن يكون جمع: مراد، وهو: حيث ترودُ =

غداة وطئْنا المشركين ولم نجِدْ
لأمْر رسول اللَّه عدْلاً ولا صَرْفا
بِمُعْترك لا يَسْمع القوم وسطه
لنا زَحْمَةٌ إلا التذامُر والنّقْفا[١]
ببيضٍ تطير الهام عن مُسْتَقَرِّها[٢]
وتقطف أعناق الكُماةِ[٣] بها قَطْفا
فكائن تركْنا من قتيلٍ ملَحَّبٍ[٤]
وأَرْملةٍ تدعو على بَعْلها لَهْفا
رضى اللَّه تَنْوي لا رضى الناسِ تَبْتغي
وللَّه ما يبدو جميعاً وما يَخْفى

❁ ❁ ❁

وعلى النَّهج الجاهِليّ ـ والمخضرم ـ في البدْء بِالتغزُّل، قال «عباس»:

= الخيْل. عَزْفا: كأن صهيلها نَغَمٌ وعَزف، ولكنهُ شديد وقوي... أو: عُزوفاً؛ أي: مجال هروبٍ.

(١) النَّقْفا: كسْرُ هامات الرِّجال عن أعناقها.

(٢) البيض: السُّيُوف، ومستَقرّها: رقابها.

(٣) الكُماة: الفرسان الشِّداد ـ الأبطال.

(٤) ملحَّبٍ: قتيلٍ بالسَّيف.

ما بالُ عيْنِك فيها عائرٌ[١] سَهِرُ
مِثْل الحُماطةِ[٢] أَغْضى فوقها الشُّفُرُ[٣]
عَيْنٌ تَأَوَّبها مِنْ شَجْوِها أَرقٌ
فالماءُ يَغْمُرُها طوْراً وَيَنْحَدِرُ[٤]
كَأَنَّه نَظْم دُرٍّ عند ناظِمِه
تقطَّعَ السِّلْكُ منه فهو مُنْتَثِرُ
يا بُعْدَ مَنْزل مَن ترجُو مَوَدَّتَهُ
ومن أتى دونه «الصَّمّان» «فالحُفَرُ»[٥]
دَعْ ما تقدَّم من عَهد الشباب فقد
ولّى الشَّبابُ وزار الشَّيْبُ والزَّعَرُ[٦]

ثم ينتقل «عباس» من هذا المطْلَعِ إلى صَمِيم ما أرَادَهُ من قصيدته . . وهو: بيْتُ القصيد ـ؛ فيقول:

(١) العائر: كُلّ ما أصاب العيْن من مرضٍ، أو رمدٍ، أو قَذىً.
(٢) الحُماطة: التبْنُ، تِبْن الشعير أو القمح أو الذُرَة.
(٣) الشُّفَرُ: أَصْل منبت الشَّعْر في الجفن، وجمعه: أَشْفار.
(٤) فالماء يغمرها طوْراً ويَنْحدرُ: يَعْني به: الدَّمْع.
(٥) «الصَّمان» و«الحفر»: اسْما موضعيْن.
(٦) الزَّعَرُ: قلَّةُ الشّعْر أو الصَّلع، يقال: رجُل أَزعَر: قليل الشعر في الرأس.

واذْكُر بلاء «سُلَيْم» في مواطنها[١]
وفي «سُلَيْم» لأهل الفخْر مُفْتَخَرُ
قَوْمٌ هُمُو نصروا الرحمن واتَّبَعُوا
دين الرسولِ وأَمْرُ الناس مشتجرُ[٢]
لا يَغرسُون فَسيلَ النَّخْل[٣] وسْطهم
ولا تُخاوَرُ في مشَتاهُمُ البَقَر[٤]
إلَّا سَوابِح[٥] كالعقبان مقربةً
في دارةٍ حولها الأخطارُ والعُكر
تدعى «خفاف» و«عوف» في جوانبها
وحيّ «ذكْوان» لا ميلٌ ولا ضُجُرُ
الضاربُون جنودَ الشِّرْك ضاحيةً[٦]
ببطن «مكة» والأرواحُ تُبْتَدَرُ

---

(١) مواطنها: أرضها التي تُقيمُ فيها ـ ومنه: الوطن.
(٢) مشتجر: مِن: اشْتَجَرَ، وتشاجَرَ.
(٣) فسيل النَّخْل: شتلاتُه؛ كناية عَنِ احتمائِهم بسلاحهم لا بأشجارهم.
(٤) لا تَخاوَرُ؛ من الخُوار وهو: صَوْتُ البَقر؛ أي أن مواطنهم وديارهم ليست حظائر للأبْقار، ولكنها مأْوىً لخيلِهم.
(٥) إلا سوابح، أي: الخيْل؛ فهي من جريها مُسْرعةً كأنَّها تَسْبَحُ.
(٦) ضاحيةً: ضُحىً.

حتى رفَعْنا[١] وقَتلاهم كأنَّهُمُ
نَخْل بظاهرةِ البطحاء مُنْقَعِر[٢]

ثُمَّ يذكر «عباس» يَوْم «حُنَيْن» . . . وقد كان لهُ ولِقَوْمِهِ «سُلَيم» صولةٌ وجَولة؛ فيقول:

ونَحْنُ يَوْم «حُنيْن» كان مشهدنا
للدِّين عِزّاً وعند اللَّه مُدَّخَرُ
إذ تركبُ الموْت مُخْضَرّاً بطائِنُهُ
والخيل ينْجاب عَنْها ساطِعٌ كَدِرُ[٣]
تحْت اللِّواء مع «الضَّحَّاك» يَقْدُمُنا
كما مشى اللَّيْثُ في غاياته الحذر
في مأْزقٍ من مجرِّ الحرْب كلكَلُها
تكاد تَأفلُ مِنْه الشَّمْس والقمَرُ[٤]

---

(١) حتى رَفَعْنا: رَفَعْنا سيوفنا ورماحنا عن الضرب والطَّعْن، توقَّفْنا عن القتال.

(٢) مُنْقَعِرُ: متساقطة جذوعُهُ، قد اجتُثَّ من جذورِهِ؛ مثل قول اللَّه تعالى: ﴿**تَنْزِع الناس كأنهم أعجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِر**﴾ [القمر: ٢٤].

(٣) مُخْضَرّاً بطائنهُ: كناية عن خُضْر الجنَّة. والسَّاطع الكَدِر: انحسارُ غُبار المعركة.

(٤) مأزق: الوادي الذي كمنَ فيه المشركونَ لرسول اللَّه ﷺ وللمسلمين، وكان وادياً ضيِّقاً، وفي وقت عماية الصُّبْح، وهناك كانت المفاجأة التي دبّرها «مالك بن نوْف النّصْري» قائد «هوازن» و«ثقيفٍ» يومئذٍ.

وقد صَبَرْنا بـ«أَوْطاسٍ»[١] أسِنَّتنا
للّه نَنْصُرُ من شِئْنا ونَنْتَصِرُ
حتى تأوّبَ أَقْوامٌ منازلهم
لولا المليكُ ولوْلا نَحْن ما صَدَروا[٢]
فما ترى معشراً قَلُّوا ولا كثروا
إلّا وقد أَصْبَح مِنَّا فيهِمُ أَثَرُ[٣]

وأَنْشَد «عباس» ممتدحاً رسول اللّه ﷺ، فقال:

يا أيُّها الرَّجُلُ الذي تهْوى به
وجْناءُ[٤] مُحمرّة المناسم[٥] عِرْمِسُ[٦]
إما أتيْت على النبيِّ فقُلْ له
حقاً عليْك إذا اطْمأَنَّ المجلِسُ
يا خَيْر من ركب المطيَّ ومن مشى
فوق التُّراب إذا تُعَدُّ الأَنْفُسُ

(١) عُرِف ذلك الوادي بـ«أَوْطاس».
(٢) تأوَّب: عادَ.
ما صَدَروا: ما عادُوا آمنين سالمين، إلا بِأَمْرِ اللّه تعالى وحفظِهِ وعنايتِهِ، وبسالتنا وشجاعتنا نحن.
(٣) سواء في الأموات أو الأحْياء النَّاجين.
(٤) الوجْناء: الناقة الضَّخمةُ الوجنات.
(٥) المناسم: جَمع مَنْسم، وهو مقدَّم طرف خُفّ البعير.
(٦) عِرْمِسُ؛ العِرْمس: الشديدة القويَّة.

إنَّـا وفـيْـنـا بـالـذي عـاهَـدْتـنـا
والـخيلُ تَقدَع[١] بالكُماةِ وتَضْرسُ[٢]
إذْ سـال مـن أفـنـاءِ بَـهْـثـة[٣] كـلـهـا
جَمْعٌ تَظَلُّ به المخارم[٤] ترجِسُ[٥]
حتى صَبَحْنا أَهْل «مكة» فيْلقاً[٦]
شهباء يقدمها الهُمام الأشوس[٧]
من كُلِّ أَغْلَبَ من «سُلَيْم» فَوْقه
بيْضاء[٨] محكمة[٩] الدِّخالِ وقَوْنَس[١٠]
يروي القناة إذا تجاسر في الوغى
وتخالُه أسَداً إذا ما يعْبِسُ

(١) تَقْدَعُ: تعدو وتُسرع.
(٢) تَضْرسُ: تَشْتدّ.
(٣) بَهْثة: حيٌّ من «سُلَيْم».
(٤) المخارم: التي تُخرم وتُثقَب [الرماح والسيوف].
(٥) تَرْجس: يُسْمع لها دَوِيّ.
(٦) الفيْلق: الجيش العظيم.
(٧) الأشْوَسُ: الفارس الشُّجاع المِقْدَام.
(٨) بَيْضَاء: يعني بها الخُوذةَ.
(٩) محكمة الدّخال: مُنْضبطة.
(١٠) القَوْنس: الرأس.

يغشى الكتيبة معْلماً وبِكفِّه
عَضْبٌ[١] يقدُّ به[٢] ولدن مدعَّسُ[٣]

وعلى «حُنَيْن» وقد وفى من جَمْعِنا
أَلفٌ أَمَدَّ به الرسول عَرَنْدَسُ

كانوا أمام المؤمنين دريئةً[٤]
والشَّمْسُ يومئذٍ عليهم أشْمُسُ[٥]

نمْضي ويحرسُنا الإلٰه بِحِفظِهِ
واللَّه ليْس بضائعٍ من يَحْرسُ

ولقد حبسنا بالمناقب[٦] مَحْبساً
رضي الإلٰهُ بِهِ فَنِعْمَ المحْبَسُ

وغداة «أوطاس» شَدَدْنا شَدَّةً
كَفَتِ العدوَّ وقيل منها: يا ٱحبِسُوا[٧]

---

(١) غضبٌ: سيْف قاطع.
(٢) يقُدُّ بِهِ: يقطع بِه.
(٣) مدَعَّس: السَّريع الطَّعْن.
(٤) دريئةً: مقدَّم الجيش، الكتيبة المدافعةُ.
(٥) أشمس: أشد حرارة.
(٦) المناقب: الثَّغرات عند مداخل المدُن أو الجبال أو الحصون.
(٧) يا ٱحْبِسُوا: نداءُ استغاثةٍ.

تَـدْعُـو «هـوازن» بـالأُخُـوَّة بَـيـنـنـا
ثَـدْي نَـمـدُّ بـه «هـوازن» أَيْـبَـسُ [١]
حـتـى تـركـنـا جَـمْـعَـهُـم وكـأنَّـهُ
عـيـرٌ تـعـاقـبـه الـسِّـبـاع مُـفـرَّسُ [٢]

وقال «العَبَّاسُ» أيضاً في مطلع قصيدةٍ له:

مَـنْ مُـبـلـغ الأقـوام أن «مُـحَـمَّـداً»
رسُـولُ الإلٰـه راشِـدٌ حَـيْـثُ يَـمّـمـا
دعـا رَبَّـه واسـتـنـصـر الـلَّـه وحْـدَهُ
فـأصْـبَـحَ قـد وفَّـى إلـيـه وأَنـعَـمـا

ثم بعد أَنْ مدَح وأَنْصَفَ، قال متحَدثاً عن مسيرة «بني سليم» مع رسول اللّٰه ﷺ إلى «مكة» أولاً يوم الفتْح، ثم إلى «حُنيْن» حيْث جَرَت المعْركَةُ مع «هوازن» و«ثقيف»:

سـريْـنـا وواعـدْنـا «قـديـداً» [٣] مـحـمَّـداً
يَـؤُمُّ بِـنَـا أمـراً مـن الـلَّـه مُـحْـكـمـا

---

(١) أَيْبَسُ: لا يَدِرُّ لبناً. يريد: فلا أُخُوَّة بيننا وبينكم.
(٢) مُفَرَّس: تَفْترسُه السِّباع.
(٣) سَريْنا وواعدْنا «قديداً»: كانت اُسْتجابتهم لرسول اللّٰه ﷺ في السّرى ـ ليْلاً ـ وواعدوهُ ﷺ أن يلْقَوْه بـ«قديد» ـ بيْن «المدينة» و«مكة».

تـمـارَوْا بـنـا فـي الـفـجْـر حـتـى تَـبـيَّـنـوا
مـع الـفـجـر فِـتْـيـانـاً وغـابـاً مُـقَـوَّمـا[١]
عـلـى الـخـيْـل مَـشْـدوداً عـلـيـنـا دُروعـنـا
ورجْـلاً[٢] كـدفّـاع الأنـيّ[٣] عـرَمْـرمـا[٤]
فـإن سـراة الـحـيّ[٥] إن كُـنْـتَ سـائـلاً:
«سُـلَـيْـم» وفـيـهـم مِـنْـهُـم مَـنْ تـسـلَّـمـا
وجُـنْـدٌ مـن الأنـصـار لا يـخـذلـونَـهُ
أطـاعـوا فـمـا يـعـصـونَـهُ مـا تَـكـلَّـمـا
فَإنْ تَـكُ قـد أمَّـرْت فـي الـقـوْم خـالـداً[٦]
وقـدَّمْـتَـهُ فـإنَّـه قـد تَـقـدَّمـا
بـجُـنْـدٍ هـداهُ الـلَّـه أنْـتَ أمـيـره
تـصـيـب بِـهِ فـي الـحـقِّ مـن كـان أظـلـمـا

(١) وغاباً مُقَوَّما: شبَّه الرِّماح العوالي بأيدي الفُرْسان كأنها غابة من الأشجار.
(٢) رجْلاً: الجند الكثيف، أو: راجلين.
(٣) كدفّاع الأنيّ: كالسَّيْل المنهمر.
(٤) عَرمرما: كثيراً لا يُحْصى.
(٥) سراة الحيِّ: مقدّموهم ورؤساؤهم.
(٦) إشارة إلى أن النبيَّ ﷺ يوم فَتحَ «مكة». «أمَّر خالد بن الوليد» ـ رضي اللّه عنه ـ على فِرْقةٍ من جَيْش الفتْح، تَدخلُ «مكة» من أعلاها؛ وقد صادف قتالاً.

حَلَفْتُ يميناً بَرَّةً[١] لـ«محمدٍ»
فأكْملْتُها أَلْفاً من الخيْل مُلْجما
وقال نبيُّ المؤمنين تَقدَّموا
وحُبَّ إلَيْنَا أن نكونَ المقدَّما
وبِتْنا بـ«نَهْي المستدير» ولم يكُن
بنا الخوْفُ إلَّا رغبةً وتحزُّما[٢]
أَطَعناك حتى أسلم الناس كُلّهم
وحتى صَبَحْنا الجمع أهل «يَلَمْلما»[٣]
يَضلُّ الحصان الأبْلَقُ الورْدُ وسْطَهُ
ولا يطمئنُّ الشَّيْخ حين يُسَوَّما
سَمَوْنا[٤] لهم ورْد القَطا رفَّة ضُحىً[٥]
وكُلٌّ تراهُ عن أخيه قد ٱحْجما
لدُنْ غدوةٍ[٦] حتى تركنا عشيَّة
«حُنَيْناً» وقد سالت دوافِعُهُ دما

---

(١) يميناً بَرَّةً: صادقةً نافذة.
(٢) لم يكن بنا خوْفٌ بل هُوَ حَزمٌ وإقْدام.
(٣) يلَمْلَم: ميقاتُ الحاج القادم من اليمن، هو جَبَلٌ على مرحلتيْنِ من «مكة».
(٤) سَمَوْنا لهم: عَلَوْناهم.
(٥) ورْدَ القطا: سرب القطا، وهو طائر كالحمام، أكثر طيرانِهِ ليْلاً.
(٦) لدُن غَدْوةٍ: بادرْناهم غدوةً، في الصباح الباكر، وتركناهم عشيَّةً وقد سالَتْ دماؤهم في وادي «حُنَيْن»، وقد شبَّهها بالدُّمُوع.

إذا شِئْتَ من كُلٍّ رأيْت طِمَّرة
وفارسها يَهْوي ورُمْحاً محطّما[١]
وقد أَحْرزَتْ منا «هوازن» سِربها
وحبَّ إليْها أن تخيبَ وتُحْرما

كان «العباس بن مِرْداسٍ» ـ رضي اللّه عَنْه ـ من الَّذينَ تأَلَّفَهم رسول اللّه ﷺ، أعطاهم ونفلهم؛ وقد عُدَّ من المؤلَّفَةِ قلُوبهم.

وقد تمَّ توزيع الغنائم على هؤلاء في «الجعْرانةِ»...، وقد عَزّ على «عباسٍ» ـ رضي اللّه عنه ـ أن يكون واحداً من هؤلاء ـ أوَّلاً..، ثم استدرك بأنَّه خَيرٌ منهم.

ولقد رُوي عن رافع بن خديج... ـ رضي اللّه عنه ـ: (أن رسُول اللّه ﷺ أعطى المؤلّفة قلوبهم من سَبْيِ «حُنَيْن» مائةً من الإبل، وأعطى «أبا سفيان بن حَرْبٍ»، مائةً، و«صَفْوان ابن أُمَيَّة» مائةً، وأعطى «عُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ» مائةً، وأعطى «الأقرع ابن حابسٍ» مائةً، وأعطى «ابن علاثة» مائةً، وأعطى «مالك بن عوفٍ» مائةً، وأعطى «العباس بن مرْداسٍ» دُون المائة، ولم يَبلُغ به أولئك، فأنشَأَ يقول:

(١) وها أنت ترى أشلاءَهم وخيولهم (طمرّة).

أتـخـيّـل نُـهْـبـي ونـهْـب «الـعُـبَـيْـد»[١] بـيْـن «عُـيَـيْـنـة» و«الأقـرع»

فـمـا كـان «حِـصْـنٌ» ولا «حـابـس»[٢] يـفـوقـان «مِـرْداس» فـي الـمـجـمَـع

ومـا كُـنْـتُ دونَ امـرىء بـيـنَـهُـمـا ومَـنْ تَـخْـفِـض الـيـوْم لا يُـرْفَـعُ

وقـد كُـنْـتَ فـي الـحـرب ذا تـدْرإٍ فـلـم أُعـطِ شـيْـئـاً ولـم أَمْـنـع . . .

فَأَتَمَّ له رسول اللّه ﷺ (المائة)، اهـ.

وهناك رؤية أُخْرى ذكرها «موسى بن عُقبَة» و«عروة بن الزبَيْر» و«ابن إسحاق»، وهي:

كـانـت نـهـابـاً تـلافَـيْـتُـهـا بِـكَـرّي عـلـى الـمـهْـر فـي الأَجْـرَعِ[٣]

وإيـقـاظـي الـحـيّ أن يَـرْقُـدُوا إذا هَـجَـع الـنـاس لـم أهـجـع

---

(١) العُبَيْدُ: اسْم فرس «العبَّاس».

(٢) إشارة إلى أَبَوَي «عيَيْنَة» و«الأقْرَع».

(٣) الأجْرع: المكان السَّهْل المنْبَسِط.

فَـأصبَـح نـهـبـي ونـهْـبُ الـعُـبَـيـ
ـدِ بـيْـن «عُـيَـيْـنـة» و«الأقـرَعِ»
وقـد كُـنْـتُ فـي الـحـرب ذا تـدْرإٍ
فـلـم أُعْـطِ شـيْـئـاً ولـم أَمْـنَـعِ
إلا أقـايـل[1] قـد أُعـطـيـتُـهـا
عـديـد قـوائـمـهـا الأربـع[2]
ومـا كـان «حِـصْـنٌ» ولا «حـابـس»
يـفـوقـان «مِـرداس» فـي الـمـجَـمـعِ
ومـا كُـنْـتُ دُونَ امـرىءٍ مـنـهـمـا
ومـن تَـضَـعِ الـيـوْم لا يُـرْفـعِ

قال الرواة بهذا الصَّدد:

فَبَلغ ذلك رسول اللَّه ﷺ، فقال له: [أنْتَ القائل: أصْبَحَ نهْبي ونَهب «العُبَيْد» بيْن «الأقْرَع» و«عُيَينة»؟]..

وكان «أبو بكر» ـ رضي اللَّه عنه ـ حاضراً فقال: يا رسول اللَّه ما هكذا قال يا رسُول اللَّه، فأنشَدَهُ «أبو بكر»، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**هُما سواء... ما يَضُرّك بأيّهما بدأت...**» ثم قال ﷺ: «**اقْطَعُوا عَنّي لسانَهُ**» فخشي بعض

(١) أقايل: من القِلَّة.
(٢) قوائمها: أرْجُلها.

الناس أن يكون ﷺ قد أراد المثْلة بِهِ، وإنما أراد النبي ﷺ: العَطِيَّة. . . !

كيْفيَّةُ بدْء إسلام «العباس بن مِرْداس» ـ رضي اللّه عنه ـ:

يقول «العبَّاس»: إنَّه يَعَرّ[١] في لِقاحٍ[٢] له لطيف النهار، إذ طلعتْ عليه نعامةٌ بيْضاء، عليها راكب عليه ثياب بيض مِثْل اللَّبن، فقال: يا «عبَّاس بن مرداس» أَلَمْ تَر أن السماء قد كفَتْ أحراسها، وأن الحرْب تجرعَتْ أنفاسها، وأن الخيْل وضعتْ أحْلاسها[٣]، وأن البِرَّ الذي نَزَل بالبِرّ والتَّقْوى، يوم الاثنيْن ليلة الثلاثاء صاحب الناقةِ القصْوى[٤].

يقول «عباس»: فَرَجَعْتُ مرعُوباً، قد راعني ما رأيْت وسمعت، حتى جِئْتُ وثناً لنا يُدْعى «الضُّمار» كُنَّا نَعْبُدُهُ ونُكلِّمُ من جَوْفِهِ، فكنسْت ما حَوْله، ثُمَّ تَمسَّحْتُ بِهِ وقبَّلْتُه، فإذا صائح من جَوفهِ يقول:

قُلْ للقبائل من «سُلَيمُ» كلها
هلك «الضّمار» وفاز أَهْل المسجد

---

(١) يعرُّ: يتغَوَّط من العرَّة، وهي عُذْرةُ الناس.
(٢) اللِّقاح: ذُكُور الخيْل والإبل تُعْزَلُ وتُعَدّ للإنْجاب.
(٣) أحلاسها: ما يوضَع على ظَهْر الإبل أو الخيْل تمكيناً للركوب.
(٤) القصوى: يُرادُ بها ناقَته ﷺ المسمَّاة بـ«القَصواء» وكانت أَحَبَّ مراكبه إليه ﷺ.

هـلـك «الـضـمـار» وكـان يُـعْـبـد مـرَّةً
قـبـل الـصـلاة مـع الـنـبـيِّ «مـحـمـد»
إن الـــذي وَرِث الـــنُـــبُـــوَّةَ والـــهـــدى
بـعـد «ابـن مـريـم» مـن قـريـشٍ مُـهْـتَـدِ

ثم قال: فخرجْتُ مَرْعُوباً حتى أتيْتُ قوْمي فقصصتُ عليهم القِصَّة وأخبرتهم الخبر...، وخرَجْتُ في ثلاثمائةٍ، من قوْمي «بني حارثة» إلى رسُول اللَّه ﷺ وهو بالمدينة، فَدَخَلْنا المسْجد، فلما رآني رسول اللَّه ﷺ: قال لي: «**يا «عباس» كيْف كان إسلامُك؟**» فقصصتُ عليه القِصَّة...! فَسُرَّ بذلك، وأسلمتُ أنا وقوْمي:

وأَنشَدْتُه ﷺ:

لَـعَـمْـرِك إنـي يـوم أجْـعـل جـاهـلاً
«ضـمـاراً» لـربّ الـعـالـمـيـن مـشـاركـا
وتَـرْكـي رسُـولَ الـلَّـه و«الأوْس» حَـوْلـه
أولـئـك أنـصـارٌ لـه مـا أوْلَـئـكـا
كـتـارك سَـهْـل الأرض والـحـزْن يـبـتـغـى
ليَسْلك في رعْثِ الأمور المسالكا[1]

(١) الحَزْن: الأرض الصعبةُ.

فـآمـنْـت بـالـلَّـه الـذي أنـا عَـبْـدُهُ
وخالفْتُ مَنْ أمسى يريد المهالكا[١]
ووجَّـهْـت وجـهـي نـحـو مكَّـةَ قـاصـداً
أبـايـعُ نـبـيّ الأكـرمـيـن الـمـبـاركـا
نـبـيّ أتـانـا بـعـد «عـيـسـى» بـنـاطـقٍ
مـن الـحـقِّ فـيـه الـفَـصْـل مـنـه كـذلِـكـا
أمـيـنٌ عـلـى الـقـرآنِ أول شـافـعٍ
وأوّل مـبـعـوثٍ يـجـيـب الـمـلائـكـا
تـلافـى عُـرى الإسـلام بـعـد انـتـقـاضـهـا
فـأحـكـمـهـا حـتـى أقـام الـمـنـاسـكـا
عـنـيْـتُـك يـا خَـيْـر الـبـريَّـة كـلـهـا
تـوسَّـطْـت فـي الـفـرْعـيْـن والـمـجْـد مـالـكـا
وأنْـتَ الْـمُـصَـفّـى مـن قـريـش إذا سَـمَـتْ
عـلـى ضـمْـرهـا تـبـقـى الـقـرون الـمـبـاركـا
إذا انـتـسـب الـحـيّـان «كـعْـب» و«مـالـك»
وجَـدْنـاك مَـحْـضـاً والـنـسـاءَ الـعـواركـا[٢]

(١) خالفت من أمسى: أي تركْتُ عبادة الأصنام؛ والحجر «ضمار» الذي أوصاه به أبوه.
(٢) وَجَدْناك مَحضاً: صافياً خالصاً من كل شائبةٍ.

هكذا كان بَدْءُ إسلامِهِ ـ رضي اللّه عنه ـ.

ثُم إنَّ هناك تساؤلات:

٢ ـ هل حجَّ مع رسول اللّه ﷺ حجَّةَ الوداع؟

١ ـ هل ٱنتهى جِهادُهُ بعد وفاة النبيِّ ﷺ؟

٣ ـ هل انْضَمَّ إلى الجيوش الإسلامية التي بَعَث بها الخليفة الصديق ـ رضي اللّه عنه ـ لمحاربة المُرتَدِّين؟

٤ ـ هل كان هو وقبيلتُه «سُلَيْم» في فُتوحاتِ الشام؟

في الإجابة عن تلْك التّساؤلات يتوقَّف عند بَعْضِها بالإيجاب والقبول، وبَعْضها فيهِ بعض الشّك.

أوَّلاً: فإن قبيلة «سُلَيْم» لم تُعَدَّ ضمْنَ القبائل التي ارتدَّتْ...

ثانياً: لا بُدَّ وأَنَّه هو وقبيلَتُهُ «سُلَيْم» كانوا إحدى الدعامات التي اعتمدها «أبو بكرٍ» ـ رضي اللّه عنه ـ في حُروبِ الرِّدَّة، وكان لهم فيها يَدٌ نافذةٌ.

ثالثاً: هل انتهى جهادُهُ الشِّرْكَ والمشركين بعد وفاة رسول اللّه ﷺ...؟

لا نَشكُّ ـ إطلاقاً، في أن «العباس» ـ رضي اللّه عَنْهُ ـ كانَ مِمَّن حَمَلُوا راية الجهاد في سبيل اللّه، ولكن إلى حدٍّ معَيَّن.

فَطبيعَةُ تكَوُّن شخصية «عباس» البدوية، كانت تَنزع بِهِ إلى

مواطن قبيلته، ولم يكن لَهُ أيَّةُ رغبةٍ، أو ميْل، في سُكنى الحَضَر، مثل «مكة» و«المدينة».

رابعاً: هَلْ حَجَّ مع رسول اللّه ﷺ «حجَّة الوداع»؟

لا نشُكُّ في أَنَّه هو وقبيلَتُه كانوا ضِمْنَ الحجيج الذين حجُّوا مع رسول اللّه ﷺ، ولقد قيل في هذا الشَّأْن أَنَّ مَنْ حَجَّ مع رسول اللّه ﷺ، زادوا على المائة أَلْف... وكُلّهم صحابي.

خامساً: كما ولا نَشُكُّ إطلاقاً في أن «سُلَيْماً» وفارسها وشاعرها «العباس بن مِرْداس» كانوا ضِمنَ الجيوش في فَتح الشام.

❁ ❁ ❁

ومن خلال مراجعتنا لكثيرٍ من وقائع التاريخ بَعْد رسول اللّه ﷺ، لم نَعْثر على شيْءٍ من شِعْر «العباس بن مِرْداس»...!

أَمّا وفاتُه سنة ثماني عشرة للهِجْرةَ (١٨هـ) في خلافة «عمر بن الخطاب» ـ رضي اللّه عنه ـ فذلك مُؤكّدٌ من أكثر من مصدرٍ.

وعليه، فإنه إن كان شهِدَ «اليرموك» وفُتوح الشام، لكنه لم يَشْهَدْ فتح «القادسية» و«المدائن» و«بلاد فارس»، التي كانت سنة تِسْع عشرة (١٩هـ).

❁ ❁ ❁

الخاتمةُ

هذا ما حصلنا عَلَيْه من أشعار «العباس بن مِرْداس»، التي جاءَ ذكرها كلها في «البداية والنهاية» لـ«ابن كثيرٍ» ـ رحمه اللّه ـ..

ومن خلال إقامَتِهِ في ضاحيةٍ من ضواحي «البصْرة» مُعْتَزِلاً الحواضر، نُدْرِك مدى ما كان عَلَيْه «العباس» من تآلُفٍ مع البادية...! فهو بَدَويُّ الطَّبْع...!

وليس ذلك أن يكون عيباً ـ معاذ اللّه ـ.

أرجو أن أكون قد وُفّقْتُ في جمع شِعْر «العباس بن مِرْداسٍ» ـ السلميّ «وسَمَّيْتُهُ ديواناً عُرْفاً...!

واللّه الموفّق والهادي إلى سواء السبيل.

فهرس المحتويات

مقدمة ٥
إسلامُهُ ٦
سَبَبُ إسلامِه ٧
الخاتمةُ ٣٩
فهرس المحتويات ٤٠